أنت ضائع مثلي

تعمد أشرف بركات أن يوحى لسامى شرف ـ مدير مكتب جمال عبد الناصر ـ أنه لا يقل عن هيكل علمًا ببواطن الأمور، فقال له هامسًا وهما على أهبة الاستعداد لمقابلة جمال عبد الناصر تباعًا:

ـ «ماذا فعلت فى موضوع حلمى عبد الباقى؟»

فحصه سامى بعين مدربة: «حلمى؟.. أى موضوع؟»

ولأنه يفهم سامى شرف جيدًا، فقد باع له ما عنده دفعة واحدة:

ـ «حلمى يا سامى ليس له إلا موضوع واحد.. فلا تعرضه على سيادة الرئيس.. الرجل لا يمكنه تحمل نزواتنا فوق ما يتحمله من أخطائنا..»

ـ «إذن، فالموضوع منتشر.. ما دام قد وصلك بهذه السرعة»

كتم أشرف بركات غيظه.. فهذه عبارة مسيئة:

ـ «الموضوع محدود، وفى قبضة يدى.. الولد زوج المرأة.. يتحرش بحلمى ويحاول النيل منه، نريد أن نطفئ هذه الشرارة قبل أن تستفحل..»

ـ «أإلى هذا الحد؟»

ـ «طظ فى حلمى يا سامى، وزوجته بهيرة، البلد فيها ما يكفيها»

ـ «عمومًا تحرياتنا أوشكت على النهاية.. وتعجبنا أن بهيرة تمسكت بالطلاق وحصلت عليه.. العجيب أننا وجدنا حشمت يزور البنت خطيبة هذا الولد.. ما علاقته بالموضوع؟»

ـ «ألم أقل لك إن الموضوع فى قبضة يدى.؟ استطعنا كبح جماح هذا الولد عن طريق

خطيبته بمعاونة حشمت»

ـ «هذا شيء طيب.. بماذا تأمرني سعادتك؟»

ـ «الأمر لله يا سامي.. أعطني خطاب هذا الولد.. واترك لي الموضوع لأعالجه بنفسي.. الولد سأحضره إلى هنا للتنازل عن شكواه بعد حل الموضوع»

* * *

لم يملك حشمت بركات سوى أن يلعن «المخنث «كُلّه» في سره عندما أبلغه أشرف أن خطاب «هذا الولد المعقد» لم يأت على ذكره بأي حال من الأحوال، ولما تهلل صوته في التليفون ذكّره أشرف أن القضية لم تنته بعد، وأنه تعهد لمكتب الرئاسة بحل المشكلة بين الطرفين.

ـ «لذلك أريدك أن تحضر لي هذا الولد يا حشمت.. أقل ما يمكن تقديمه هو محضر مصالحة بينه وبين زوجته.. مما ينفي ادعاءه بخيانتها له، ومن ثم تبرئة حلمي..»

* * *

وبينما كان يدخن غليونه بهدوء في حديقة قصره برز حشمت عند مشارف الحديقة قادمًا وبجواره شاب طويل رشيق يختال في بدلة أنيقة، نهض فصافحهما، ولما جلسا نظر حشمت في ساعته:

ـ «أمامنا أقل من ساعتين على موعد صلاة الجمعة»

وظل أشرف مشغولًا بالتمعن في وجه السيد النحال وعلى فمه ابتسامة:

ـ «بدلتك أنيقة يا سيد.. أين تفصّل هذه البدل؟»

تنحنح السيد ورفع رأسه قليلًا:

ـ «ترزي في شارع عبد العزيز.. أبى عرّفني عليه»

ابتسم أشرف بركات بخبث خفي، ثم عاود سؤاله:

ـ «وربطة العنق الأنيقة هذه.. من أين اشتريتها؟»

ـ «من غزة.. تاجر شنطة أعرفه»

قهقه أشرف: «وقد ضاعت غزة يا بطل.. فكيف ستتصرف يا مسكين؟»

ـ «بإذن الله غزة ستعود على أيديكم يا فندم»

وبدا أن أشرف بركات عثر على مدخله المناسب، فاعتدل فى مواجهته:

ـ «اسمع: عندى فكرة..»

ـ «تفضل يا فندم»

ـ «أعد زوجتك إلى منزلك.. واترك لنا مسألة إعادة غزة..»

ـ «هى التى هربت خوفًا من انتقامى، فكيف أعيد خائنة»

ـ «هى لم تخنك ، أنت تلعب لعبة خطيرة وغامضة، فراجع نفسك»

ـ «هل هناك من يفضح نفسه بالباطل»

ـ «أجل، أنت، أنت تفعل ذلك؟»

ـ «لا تظلمنى يا باشا.. كفى ما أنا به من عذاب»

ـ «لست معذبًا.. أنت معذِّب.. تسعد بعذاب الآخرين وتعذيبهم، أنت «سيكوباتى»..

ـ «تقصد سعادتك أننى معقد نفسيًّا»

ـ «وعدوانى.. وتكره المجتمع.. ولا تعرف الشفقة ولا الرحمة.. وتتنفس كذبًا.. من هو أبوك الذى يفصل بدلة فى شارع عبد العزيز؟ أبوك المسكين الكلاف الذى لا يملك إلا جلبابًا واحدًا.. أرأيت إلى أىّ حد وصلت بك البجاحة أن تستخف بعقلى.. ألم تفكر مرة واحدة فى أننا قد تحرينا كل أخبارك وماضيك.؟ هل تظن أن اتصالك بمكتب سيادة الرئيس واتهامك لبطل من أبطال الثورة سيمر هكذا دون أن نعرف من أنت؟. ماذا فعلت بحكمت وبشاير؟ هل أوراق الأرض والفيلا التى معك سليمة؟»

كان الغليون قد انطفأ، فتوقف أشرف بركات لتنظيفه وحشوه وإشعاله وهو متهدج الأنفاس وأخذ يستعد لمواصلة حديثه فرفع السيد النحال كفيه أمامه متضرعًا:

ـ «أرجوك يا فندم.. لا ترهق نفسك بالحديث ثانية.. أنا مخطئ.. كل ما قلته سيادتكم صحيح.. وكل ما سوف تقوله أيضًا صحيح.. أنا تحت أمرك.. و..»

قاطعه أشرف بركات بالوقوف، ويمم وجهه شطر مدخل القصر:

ـ «إذن أسرع بمصالحة زوجتك.. حشمت سيدلك على مكانها.. حرر ورقة صلح

بينكما (ثم يمم وجهه نحو حشمت) هذه الورقة تكون غدًا عندى يا حشمت بك.. لا تجعله يفلت من يدك..»

* * *

ما إن جلس بجوار صديقه الكبير حشمت بركات فى سيارته حتى بادره حشمت قائلًا:

ـ «كل هذا يطلع منك يا سيد.. أنت من دواهى الزمن يا رجل»

رمقه السيد النحال بغيظ: «أين زوجتى؟»

ـ «سآتيك بها عند توقيع ورقة الصلح»

ـ «ومن قال لكما إن أبى كلاف.. كيف اخترقتم رجالى؟»

ـ «كنت أظن أنى أعرفك.. ولكن ما أعجبنى فيك أنك لم تسئ إلىَّ أو إلى أخى فى خطابك اللقيط إلى الرئيس»

ـ «هذا إذا اعتبرت أن خطابى هذا إلى الرئيس هو الأول والأخير»

حملق فيه حشمت بركات بدهشة: «ماذا تقصد بقولك هذا؟»

ـ «هناك خمسة رجال أنت تعرفهم وقعوا تحت التعذيب بأوامرك.. سوف يلقون بأنفسهم مضرجين بالدماء فوق رصيف مكتب الرئاسة غدًا، هذا هو خطابى الفعلى إلى الرئيس فوفر إعجابك بى..»

ـ «هكذا؟»

ـ «ليس لدى ما أخسره»

ـ «أنت تلعب بالنار، وستحرق نفسك»

ـ «النار لعبتى»

ـ «أنت لا تدرى فى يدى من أوقعك قدرك..»

ـ «عندما شاهدته عرفت أنه هو.. أنور السادات»

ـ «إنه أشرف بركات..»

ـ «إنه هما.. معًا»

- «سيصيبك الدوار»
- «دوامة الدوار.. مركزها عندى..»
- «أنت نرجسى مغرور..»
- «ومعقد نفسيًا كما وصفنى»
- «تتبعنا جرائمك.. وسنعرف ما خفى منها..»
- «الجريمة التى أحلم بها لم تأت بعد»
- «كنت سأساعدك»
- «أنت لا تساعد إلا من يحمل الأشياء الخفيفة»
- «خميسة كسبت كثيرًا عندما قررت ألا تنجب منك»
- «خميسة أساءت للبشرية عندما فعلت ذلك.. كان يمكنها أن تجد لروحى مأوى بطفل صغير»
- «ولدك لن يأتى للدنيا إلا ليكتب أغانى حزينة مثل أغانيك»
- «هذا إذا وجد البؤس فى انتظاره.. كنت سأحيطه بسعادة لا تنفد»
- «السعادة المسروقة مصيرها الزوال»
- «أرتب نفسى على خسارتها، وأستعد لأكسب سعادة أخرى بديلة»
- «كيف ترتب لخسارة ومكسب فى وقت واحد أيها الفيلسوف؟»
- «أهيئ اليوم ما سوف أدمره غدًا»
- «أنت ضائع»
- «ما نحن سوى مجموعة من الضائعين.. ألست أنت ضائع مثلى؟»

أصر حشمت بركات على أسنانه.. وقرر أن يطوى صفحة هذا الحوار المراوغ وينهى اللقاء بأقل قدر من ماء الوجه المراق، فقال له:

- «لا تتعدى حدود الأدب، انصرف الآن وتوقف عن خططك الكيدية.. سأكون جاهزًا لملاقاتك إذا طلبتنى»

وركن حشمت سيارته إيذانًا بدعوته إلى النزول.. فقال له السيد النحال وهو يفتح

الباب :

ـ «أعرف أنك سوف تعود إليه الآن لتخبره أننى تلاعبت بكما.. وتأخذ منه الأوامر بشأنى.. الأوامر التى من شأنها قمعى وإذلالى والسطو على إرادتى، وكلها قيود لن أضعها فى يدى برغبتكما أو رغم أنفى، جرابى ملىء.. فأنت أول من اعترف بصحة أوراق ملكيتى لأرض وفيلا الزيتون ووافقت على تغيير عقد الإيجار باسمى.. وموضوع الزرنيخ هذا من اختراعك ولا شأن لى به.. أحد رجالى شاهدك وأنت تعطى الزجاجة لفوزية..»

دقق حشمت بركات النظر فى وجهه:

ـ «أنت تجهز نفسك للعب على المكشوف»

ـ «وجهزوا أنفسكم لذلك.. لن أصالح خميسة.. وسأنتقم من حلمى عبد الباقى.. وسأتخلص ممن تعاون معكما.. وسأعرف بنفسى أين اختفت زوجتى الخائنة.. هذه معركتى.. ولن أخسرها..»

ألقى حشمت بركات برأسه على مقود السيارة غارقًا فى التفكير.. وما إن رفعها بعد حين ليقول كلمته الأخيرة حتى وجده اختفى، بحث عنه بنظراته القلقة فى صفحة الشارع.. لم يجده.. عاد إلى نفسه.. وتحرك بالسيارة ولكن.. إلى الخلف..